وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾.

وقرئ: يبدأ ﴿الودود﴾ الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا.

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾.

وقرئ: ذي العرش صفة لربك، وقرئ: المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته، ومجد العرش علوه وعظمته.

فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾.

﴿فعال﴾ خبر مبتدأ محذوف. وإنما قيل: فعال لأنّ ما يريد ويفعل في غاية الكثرة[1].

فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾.

﴿فرعون وثمود﴾ بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله كما في قوله ﴿من فرعون وملئهم﴾[2]. والمعنى: قد عرفت تكذيب تلك الجنود المرسل وما نزل بهم لتكذيبهم.

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾.

﴿بل الذين كفروا﴾ من قولك: ﴿في تكذيب﴾ أي: تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه.

وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾.

والإحاطة بهم من ورائهم، مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به، ومعنى الإضراب أن أمرهم عجب من أمر أولئك لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشدّ من تكذيبهم.

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾.

﴿بل هو﴾ أي: بل هذا الذي كذبوا به ﴿قرآن مجيد﴾ شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه، وقرئ: قرآن مجيد بالإضافة: أي: قرآن رب مجيد. وقرأ يحيى بن يعمر: في لوح: واللوح، الهواء. يعني: اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح.

فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾.

﴿محفوظ﴾ من وصول الشياطين إليه. وقرئ: محفوظ بالرفع صفة القرآن. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات»[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الطارق مكية

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾.

﴿النجم الثاقب﴾ المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه. كما قيل: درئ لأنه يدرؤه أي: يدفعه، ووصف بالطارق لأنه يبدو بالميل، كما يقال: للآتي ليلاً طارق، أو لأنه يطرق الجنى أي: يصكه. والمراد: جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها.

فإن **قُلْتَ**: ما يشبه قوله: وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب، إلا ترجمة كلمة بأخرى. فبين لي أي فائدة تحته؟ **قُلْتُ**: أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيمًا له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة، وأنه ينبه على ذلك. فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق. ثم قال: وما أدراك ما الطارق؟ ثم فسره بقوله: ﴿النجم الثاقب﴾ كل هذا إظهار لفخامة شأنه. كما قال: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾[4] روي أنّ أبا طالب كان عند رسول الله ﷺ فانحط نجم فامتلأ ماثم نورًا فجزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟ فقال عليه السلام: «هذا نجم رُمِيَ به وهو آية من آيات الله». فعجب أبو طالب فنزلت[5].

إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾.

فإن قُلْتَ: ما جواب القسم؟ قُلْتُ:

﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ لأنّ إن لا تخلو فيمن قرأ لما مشدّدة بمعنى: إلا أن تكون نافية، وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة تكون مخففة من الثقيلة، وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبًا وكان الله على كل شيء مقيتًا، وقيل: ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر. وروي عن النبي ﷺ: وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين[6].

---

(1) قال أحمد: ما قدر الله حق قدره، هلا قال: إنه لا فاعل إلا هو، وهل المخالف لذلك إلا مشرك، وكم أراد الله تعالى على معتقد القدرية من فعل فلم يفعله، وهب أنا طرحنا النظر في مقتضى مبالغة الصيغة، أليس قد دل بقوله لما يريد على عموم فعله في جميع مراده، فما رده إلى الخصوص إلا نكوص عن النصوص.

(2) سورة يونس، الآية: 83.

(3) ذكره الثعلبي وابن مردويه، والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/ 186.

(4) سورة الواقعة، الآيتان: 75 ـ 76.

(5) رواه الواحدي في أسباب النزول ص 250.

(6) رواه الطبراني في معجمه.

obeikandl.com

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾.

فإن قُلْتَ: ما وجه اتصال قوله: **﴿فلينظر﴾** بما قبله؟ **قُلْتُ:** وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظًا أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أوّل أمره ونشأته الأولى حتى يعلم أنّ من نشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته. و **﴿مم خلق﴾** استفهام جوابه.

خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾.

﴿خُلق من ماء دافق﴾. والدفع صب فيه دفع، ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق، كالتامر واللابن، أو الإسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه. ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه.

يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾.

﴿من بين الصلب والترائب﴾ من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة، وقرئ: الصلب بفتحتين، والصلب بضمتين. وفيه أربع لغات: صلب وصلب وصلب وصالب. قال العجاج: في صلب مثل: العنان المؤدم، وقيل: العظم والعصب من الرجل، واللحم والدم من المرأة.

إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾.

﴿إنه﴾ الضمير للخالق لدلالة خلق عليه. ومعناه: أنّ ذلك الذي خلق الإنسان ابتداءً من نطفة **﴿على رجعه﴾** على إعادته خصوصًا **﴿لقادر﴾** لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه. كقوله: إنني لفقير.

يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾.

﴿يوم تبلى﴾ منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو الإحليل أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بمضمر. **﴿السرائر﴾** ما أسرّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، وما أخفي من الأعمال. وبلاؤها تعرّفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث. وعن الحسن أنه سمع رجلاً ينشد:

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ويوم تبلى السرائر

فقال: ما أغفله عما في السماء والطارق.

فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾.

﴿فما له﴾ فما للإنسان **﴿من قوّة﴾** من منعة في نفسه يمتنع بها، **﴿ولا ناصر﴾** ولا مانع يمنعه، سمي المطر رجعًا كما سمي أوبًا قال:

رباء[1] شماء[2] لا ياوي لقلتها[3] ... إلا السحاب وإلا الأوب[4] والسبل

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾.

تسمية بمصدري رجع وآب، وذلك أنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض، أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعًا وأوبًا ليرجع ويؤب. وقيل: لأنّ الله يرجعه وقتًا فوقتًا قالت الخنساء: كالرجع في المدجنة السارية.

وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾.

والصدع ما يتصدّع عنه الأرض من النبات.

إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾.

﴿إنه﴾ الضمير للقرآن، **﴿فصل﴾** فاصل بين الحق والباطل. كما قيل له: فرقان.

وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾.

﴿وما هو بالهزل﴾ يعني: أنه جدّ كله لا هوادة فيه. ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبًا في الصدور معظمًا في القلوب، يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح، وأن يلقى ذهنه إلى أنّ جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده، حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جادًّا غير هازل. فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله: وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه.

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾.

﴿إنهم﴾ يعني: أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق.

وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾.

وأنا أقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم.

فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾.

﴿فمهّل الكافرين﴾ يعني: لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به. **﴿أمهلهم رويدًا﴾** أي: إمهالاً يسيرًا، وكرّر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات»[5].

---

(1) رباء: من ربا إذا علا وارتفع.
(2) شماء: من شمم بمعنى الارتفاع، ويقال: اسم لكمّة.
(3) لقلتها: أي لعلوها.
(4) الأوب: النحل.
(5) ذكره الثعلبي، والواحدي، وابن مردويه في تفاسيرهم، زيلعي: 4/ 190.